آثار مدينة ميلة

د . خديجة نشار•

انبثقت ولاية ميلة عن التقسيم الإداري لسنة ١٩٨٤م و تتكون من ١٣دائرة و ٣٢بلدية.

تقع شمال شرق الجزائر تحدها:

- من الشرق و لاية قسنطينة.
- من الغرب ولاية سطيف
- من الشمال الغربي ولاية جيجل
- من الشمال الشرقي ولاية سكيكدة
- من الجنوب ولاية باتنة.
- من الجنوب الشرقي ولاية أم البواقي.

تتربع مساحتها على ٣٣٢٥ كيلومتر مربع.

أصل التسمية:

ذكرت ميلة في العديد من الناقشات الأثرية، بعدة تسميات منها:

Mila، Milev، MediusModium،Milo،Milah

و أما عن أصل التسمية فرغم اختلاف آراء الباحثين حولها، إلا أنهم اتفقوا جلهم على أن أصلها آمازيغي و عرفت بالأسماء التالية:

- ميلاف عند الرومان و تعني مائة عين أو ينبوع، لما تزخر به المنطقة من طاقة مائية.
- ميلو نسبة إلى ملكة بربرية عاشت حكمت المنطقة و هذا حسب الروايات و تعني الظل بالأمازيغية.
- ميلة مع الغزو البيزنطي.
- في الفترة الإسلامية عرفت بميلاح و هي تعريب لاسم ميلاف.

امتدادها التاريخي:

عرفت ميلة تعاقب حضارات مختلفة بداية بفترة ما قبل التاريخ مرورا بالفترات القديمة وصولا إلى الفترة الإسلامية:

١- **فترة ما قبل التاريخ**:

يعود تاريخ ميلة إلى العصر الحجري الحديث و ذلك حسب ما تؤكده المواقع المتواجدة بالولاية أهمها موقع إنسان مشتى العربي (قرب شلغوم العيد) الذي يعود للحضارة الإيبرو- مغربية.

• أستاذة محاضرة بمعهد الآثار - جامعة الجزائر ٢

٢-الفترة القديمة:

أ- **الفترة النوميدية**: برزت في هذه الفترة كإحدى أهم المدن التابعة لمملكة الماسيل تحت إمارة المالك النوميديماسينيسا. و لعل أهم آثار هذه الفترة، التمثال الرخامي الضخم الموجود بساحة متحف المدينة و الذي عثر عليه أثناء الحفريات التي جرت بالمدينة من طرف الضابط الفرنسي ريبو سنة ١٨٩٧-١٨٨٠م.

ب-الفترة الرومانية: برزت ميلاف في الفترة الرومانية في عهد القيصر يوليوس سنة ٤٦ق م، كواحدة من المدن الأربعة المشكلة للكنفيدرالية السرتيةتحت حكم Sittiusnacerius وهي روسيكاد (سكيكدة)، شولو(القل)، سيرتا (قسنطينة)، ميلاف(ميلة) و حملت لقب مستعمرة([1]).

و في سنة ٢٥٦م أصبحت المدينة أسقفية و ظهر إسم ميلاف لأول مرة في كتاب القديس سيبريان Sibirian أثناء المجمع الكنيسي الذي عقد بقرطاج.

ج- **الفترة الوندالية:** بعد انحطاط الإمبراطورية الرومانية و انشقاقها زحف الوندالإلى بلاد المغرب و مكثوا في الإقليم الشرقي حوالي قرن من الزمن، و يحتمل أن ميلاف قد أخضعت سنة ٤٣١م من طرف القائد الوندالي بيليوار الذي جعلها مركز لمراقبة باقي الأقاليم المجاورة.

د- **الفترة البيزنطية:**بعد استيلاء البيزنطيين على المدينة سنة ٥٣٩-٥٤٠م، جددوا بناء أسوارها و أبوابها و منشآتها العمرانية، و نظرا لأهميتها العمرانية و موقعها الاستراتيجي، جعلوا منها المدينة القلعة، حيث قام القائد صولومون ببناء السور المحيط بالمدينة طوله ١٢٠٠م و دعمه ب ١٤ برج للمراقبة، و قد حرص على ضم أهم المعالم الرومانية و كان للمدينة في الفترة البيزنطي دور ديني بالغ الأهمية تمثل في تأسيس الأبرشة أي أن القديس أو الراهب هو السلطة الحاكمة في المدينة.

هـ- الفترة الإسلامية:

وصفها البكري بأنها :"غرر مدن الزاب"([2])

دخل الصحابي أبو مهاجر دينار (صحابي جليل من أصل مصري رفيق عقبة بن نافه أثناء فتوحات المغرب) ميلة فاتحا عام ٥٩هـ/٦٨٠م فقام بتشييد دار الإمارة و مسجد للمصليين ([3]) على أنقاد كنيسة رومانية تتوسط ثكنة المدينة، و هو مسجد أبو دينار المعروف محليا بمسجد سيدي غانم.

---

[1] Reboud,dretGoyt, A.Excursions archéologiques dans les environs de Milah et de Constantine.(1878-1879)dans :RSAC.T.20.p.17

[٢] البكري (ابو عبيد الله) المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب،و هو جزء من المسالك و الممالك.نشره البارون دوسلان. الجزائر ١٩٣٧.ص٢٣

[٣] خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ ه). تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق د. أكرم ضياء العمري .دار طيبة. الرياض ١٤٠٥ه/١٩٨٥ م. ص ٢٢٦ .

اختار أبو مهاجر دينار ميلة لتكون مقرا لعملياته الحربية في المغرب الأوسط و نقطة إشعاع للفكر الإسلامي الجديد، لأنها تقع بين التجمعات السكنية الكبيرة و تتوسط أهم مدن المغرب الأوسط من جهة و أكبر القبائل البربرية من جهة أخرى. و عند فتحه للمدينة غيّر اسمها الروماني "ميلاف"إلى" ميلة".

١- **عصر الولاة**: أصبحت ميلة مقرّا إداريا و عسكريا له أهمية حيث كان ملحق بالقيروان مباشرة دون وسيط. عرفت المدينة تضارب بين التيارات المذهبية الفكرية التي سادت في القرن ٢هـ/٨م رغم سيادة المذهب السني([٤])

٢- **فترة الأغالبة و الفاطميين**: فقدت ميلة أهميتها السياسية في عهد الأغالبة، فسقطت على يد الفاطميين،و تعتبر نقطة انطلاق و بداية حضارة (الفاطمية) امتد نفوذها إلى الشام و مصر و بسطت نفوذها على البحر المتوسط و الأقاليم المجاورة بعد تكوينها لأكبر أسطولين لتلك الفترة.

٣- **الفترة الزيرية**: فقدت أهميتها السياسية و العسكرية، و أخليت البلاد من السكان حيث طردهم الحاكم الزيري المنصور بن أبي الفتوح(٣٧٨هـ/٩٨٨م) بعد أن امتنعوا عن دفع الضرائب. ثم أعيد إعمارها و أصبحت تخضع لحاكم قسنطينة.

٤- **الفترة الحمادية**: استردت مدينة ازدهارها ابتداءا من القرن ٥هـ/١١م فانتعشت فيها العمارة، و تطورت التجارة، و أصبح موقعها ملتقى الطرق الرابطة بين المدن الساحلية و الداخلية ([٥]).

٥- **الفترة الموحدية**: في القرن ٦هـ/١٢م تراجع دور المدينة الإداري و العسكري، و ظلت المدينة تخضع لحكم الموحدين سبعين عاما، و لكن ضعف الدولة الموحدية أدى إلى إنقسام بلاد المغرب إلى ثلاث دول في المنتصف الأول من القرن السابع/ الثالث عشر ميلادي، الحفصية(تونس)، الزيانية(تلمسان)، المرينية (فاس) و في هذه الفترة أصبحت ميلى تابعة للدولة الحفصية.

٦- **الفترة العثمانية**: شهدت تغيرا إدارية حيث أصبحت ميلة تابعة إلى بايلك الشرق، تحضع إلى باي قسنطينة. كامنت تلعب دورا اقتصاديا هاما حيث كانت مخزن الباي.

٧- **الفترة الاستعمارية**: دخل المستعمر أرض ميلة في ١٨٣٧/١٠/١٣م. شاركت في العديد من الثورات الشعبية(ثورة المقراني، و ثورة الزواغة).

أهم المعالم الأثرية للمدينة:

١- **سور المدينة**:و يذكر البكري أن للمدينة سور من الصخر و حولها ربض([٦])، بني في الفترة البيزنطية بطريقة المداميك، يبلغ ارتفاعه ١٤م و يتخلله ١٤

---

[٤] لقبال موسى .المغرب الاسلامي .الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائر. ١٩٨١.ط٢ .ص ٣٦ .

[٥] فيلالي، عبد العزيز-ابراهيم بحاز. مدينة ميلة في العصر الوسيط. دار البلاد للاتصال و الخدمات. قسنطينة ١٩٩٨.ص ٧٧ .

برجا للمراقبة،ذات الشكل المربع، كما تخترق الأجزاء العلوية للسور المزاغل مستطيلة الشكل تستعمل للدفاع عن الهجومات الخارجية.

منظر داخلي لسور المدينة

منظر خارجي لسور المدينة

[٦] البكري. نفس المصدر، ص ٦٣ .

المزاغل أعلى السور

أبواب المدينة:يوجد بالمدينة ثلاثة أبواب ، وهم باب البلاد، باب الرؤوس، باب وباب الحديد، الا أن الباب الوحيد الذي مازال يستعمل حاليا هو الباب الرئيسي (باب البلد)، أما البابان الباقيان فهما مغلقان حاليا لم يبق منهما سوى أثارهما. كان البابان الشرقي و الجوفي أو السفلي يخترقهما شارع رئيسي و تتفرع عنه الأزقة و الشوارع الثانوية حيث المساكن و البساتين و الحدائق التي كثيرا ما أشار إليها الجغرافيون.

- باب البلاد(الباب السفلي):يعود للفترة البيزنطية يحتل الواجهة الشمالية للقصبة وهو المستعمل حاليا ، يوحي شكله أنه أحد أقواس النصر الرومانية وفتحة المدخل الحالية تمثل عقد القوس ، مبني بالحجارة المصقولة المتناسقة مع الطريق المبلط الذي لايزال في حالة جيدة. يحفه من الجانبان أبراج مربعة الشكل

- باب الحديد:يعرف كذلك بباب قسنطينة، يحتل الواجهة الجنوبية للمدينة ، كان يربط بين مدينتي ميلة وقسنطينة كما يربطها بمركز الولاة في ولاية الزاب (مدينة طبنة) ، (عندما ضاقت المدينة أغلق وحول إلى مسكن).

-باب الرؤوس:يحتل الواجهة الشرقية ، كان يربط مدينة ميلة بعاصمة الدولة في المغرب الأدنى، كما أنه المنفذ المفضل لتجارات الشرق و السواحل، مازالت أثار هذا الباب ،لكنه حاليا مغلق.

الشوارع:

يختـرق المدينـة شـارعان رئيسـيانينطلقان مـن البـاب الشـمالي، الأول يصـل بـين البـاب الشـمالي و البـاب الغربـي، أمـا الثـاني ينطلـق مـن البـاب الشـمالي يتجـه نحـو الشـرق ليعـرج نحـو الجنـوب وصـولا إلـى البـاب الغربـي، وتتفـرع عـن هـذه الشوارع دروب ضيقة والأروقة المسقوفة والتي تعرف بالسباط.

و الملاحـظ ارتبـاط الأبـواب بالشـوارع الرئيسـية يمـثلان الشـريان الاقتصـادي و الإداري و الثقـافي ([٧]).فيـذكر لنـا الحميـري أنهـا كثيـرة الأسـواق و المتـاجر و رخيصـة السـعر لكثـرة البضـائع و تنوعهـا ([٨])،و كـان لسـوق ميلـة سـاقية مـن عـين "أبـي السـباع" للتـزود بالمـاء، و هـي ظـاهرة حضـارية قلمـا نجـد لهـا مثيـل فـي الأسـواق، لأن هـذه الميـاه ليسـت للشـرب فقـط وإنمـا هـي للاسـتهلاكات أخرى من متطلبات السوق.

[٧] فيلالي. نفس المرجع. ص٧٨

[٨] الحميـري محمـد بـن عبـد المـنعم . الـروض المعطـار فـي أخبـار الأقطـار. تحقيـق احسـان عباس. بيروت. لبنان. ط ٢ .١٩٨٤. ص٣٦ .

شارعان رئيسيان

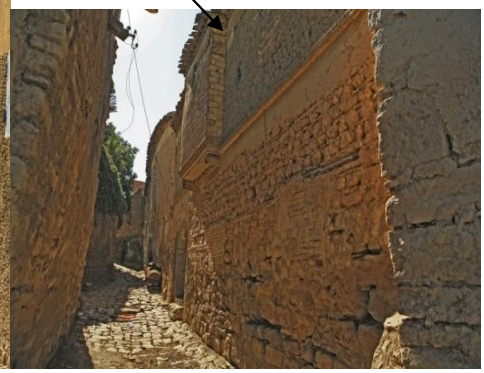

رواق مسقوف (السباط)

أحد دروب القصبة

المسجد و دار الإمارة:

بناهما أبو مهاجر دينار على أنقاض كنيسة القديس أوبتا، في مطلع الستينات من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. يقع داخل السور البيزنطي جنوب غرب المدينة عند المدخل الغربي/ و حسب المصادر التاريخية فقد كان ملاصقا لدار الإمارة، و بالقرب منه الباب الشرقي (باب الرؤوس). و كغيره من المساجد اتخذ له شكلا مستطيلا تبلغ قياسته ٢٦م18,3x و هو متجها من الشرق إلى الغرب وفق مخطط المبنى القديم.

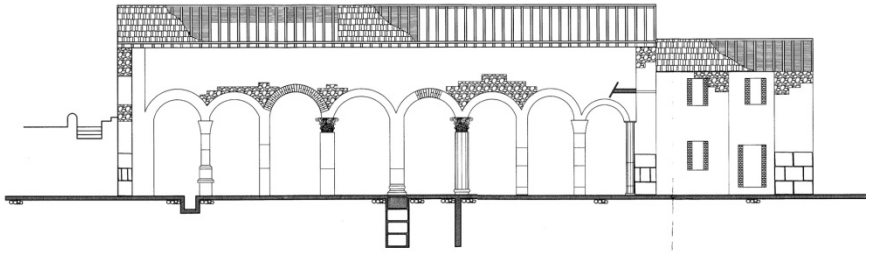

مقطع طولي للمسجدعن/ مكتب الدراسات.

مسجد سيدي غانم (أحد المداخل)

دار الإمارة: تتوزع مرافق دار الإمارة على حيزين شمالي و جنوبي يتوسطهما صحن مكشوف.

الواجهةالخارجية لدار الإمارة حيث يوجد باب يؤدي مباشرة للدار و المسجد، يعلوه عقد حذوي، نفذت على يمين و يسار الجزء العلوي للباب زخرفة كتابية نفذت بالخط الكوفي. قراءة أولية نصها: (بركة- محمد- مكررة).

جرت عدّة تنقيبات خارج و داخل المسجد خلال السنوات الأخيرة التي أبرزت العديد من العناصر المعمارية و كذا تخطيط منحنى ثاني في جدار القبلة في الطبقات السفلى .

دار الإمارة منظر داخلي

الواجهة الخارجية لدار الإمارة

الزوايا:تشمل القصبة على ثلاث زوايا:

- الزاوية الرحمانية: نسبة للطريقة الرحمانية، تعود للفترة العثمانية وهي خاصة بالمذهب السني السائد وهي للولي الصالح "سيدي محمد بن عبد الرحمان الجرجري".

- زاوية سيدي عزوز: تقع بحي الدباغين وهي تتبع الطريقة الرحمانية سميت بهذا نسبة الى مؤسسها "بن عزوز سالم". بهذه الزاوية ضريح ولي صالح ، وبها لوحة رخامية فيها شجرة العائلة التي يصل نسبها الأعلى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

- زاوية الثلاث سيود (جمع سيد): نسبة إلى ثلاث أولياء صالحين دفنوا فيها

منظر عام للزاية الرحمانية

صحن الزاوية

ميضأة الزاوية

المساكن:

كانت تشكل أكثر العمران، وهي ذات طرز مختلفة ، منها المساكن مفتوحة الصحن، وأخرى ذات طوابق و التي تحتاج إلى دراسة من حيث تشخيص مواد البناء وتنميطها حيث اختلفت مواد البناء من حجارة، اجر، الطوب، والعوارض الخشبية، ويبدو أن المساكن ذات طابقين ظهرت في العهد الحمادي، حيث ازدهرت المدينة وتطورت التجارة فتزايد عدد السكان.

واجهة خارجية لمسكن ذو طابق مزين بروشنEncorbellement

منظر داخلي لأحد المنازل ذات طابق

المنشآت المائية:

أهم ما يميز المدينة هو وفرة الموارد المائية الطبيعية و الدليل على ذلك عين البلاد التي تعرف "بعين السباع "التي تعود إلى الفترة الرومانية.

منظر عام لعين لبلاد(عين أبي السباع)

عين البلاد(عين أبي السباع)

الحديقةالمتحفية:

على امتداد المسجد ودار الإمارة نجد الحديقة المتحفية تضم بعض اللقى الأثرية التي تعود للمنطقة وتشهد على تعاقب الحضارات عليها ، من بينها تمثال ميلو، الأنصاب النذرية والجنائزية، المذابح الوثنية، مطاحن الحبوب،التوابيت.....الغ.

تمثال ميلو : اكتشف سنة ١٨٨٠ من طرف ضابط فرنسي أثناء التنقيبات التي جرت بالمدينة القديمة، يمثل شخصية امرأة جالسة على العرش، يعتقد أنها الملكة ميلو التي حكمت المدينة في عهد ماسينيسا ، و يعتقد أنها الالهة ميلو التي تعني بالامازيغيةالضل(ثيلي)، و هي الالهة حامية المدينة ، أو الاله الروماني ساتيرن(٨).

تمثال ميلو

نصب نذري

مذبح و تابوت يعودان للفترة الرومانية

جارة من الفخار

حي الفخارين:

خارج أسوار المدينة العتيقة، اكتشفنا منطقة يطلق عليها السكان المحليون "المياشير"، جمع "ميشار" أي المنطقة التي توجد بها الأفران لتسوية الفخار(عملية الحرق) وكذا تحضير و تشكيل العجينة و عملية التجفيف . إن وجود بقايا للقرميد بجانب الأفران لدليل قاطع أنها استعملت في فترات مختلفة و هذا ما يؤكده لنامالك الأرض. كما صرح لنا أن المنطقة هذه كانت بها ١٧ فرنا لصناعة القرميد و الآجر و لكن خلال زياراتنا العديدة للمنطقة لم نجد إلاّ بقايا ثلاثة أفران و فرن رابع لعائلة من المدينة القديمة لا زال في حالته الجيّدة و الذي كان يستعمل للصناعات الفخارية و الخزفية من أواني ذات أشكال مختلفة

كما تمّ اكتشافنا لركام من البقايا للشقف الفخارية و الخزفية موضوعة على شكل طبقات متتاليةذات أشكال و أحجام مختلفة و كذا بقايا لمواد الإشعال التي كانت تستعمل داخل الموقد.

إن منخلال خرجاتنا الميدانية لمنطقة ميلة استطعنا أن نسطر برنامجا علميا للقيام بأبحاثأكاديمية لدراسة المعالم و البقايا الأثرية التي تزخر بها المنطقة .كما قمنا بإنجاز برنامج وطني للبحث حول "المراكز الصناعية للفخار و الخزف في الجزائر "ويحدّدنا بالخصوص منطقة ميلة نموذجا.

منظر عام لأحد الأفران

منظر لغرفة الحرق

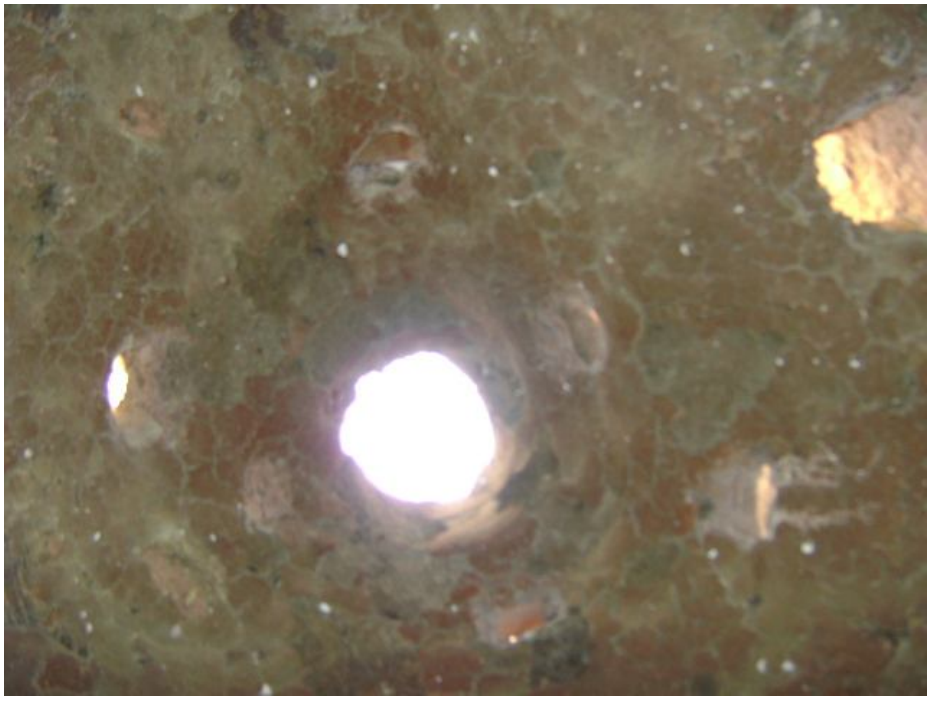

سقف الموقد(الفتحة الرئيسية و الفتحات الثانوية)

الجزء العلوي للفرن

الفرن قبل التنظيف والترميم

الفرن أثناء عملية الترميم(استعمال الماد المحلية)

الفرن بعد التنظيف و الترميم(فتحة الموقد)

مناظر للربوة (طبقات من الشقف وبقايا من مواد الحرق للأفران)